الاتجاهات الاجتماعية:

تميز المجتمع العربي في القرن التاسع عشر بتعايشه مع ديانات وأثنيات وجنسيات مختلفة، ففيه المسلمون والمسيحيون واليهود والدروز والشيعة والأقباط وفصائل دينية وعرقية مختلفة. وهذا المجتمع يعيش بالزراعة والتجارة والصناعة الحرفية، أما من الناحية القانونية فيخضع في معظمه لقوانين الدولة العثمانية، وأحيان كثيرة تحكمه القيم القبلية، إلا انها بدأت تتراجع في نهاية القرن التاسع عشر، لتأثرهم بالغرب فبدأت العادات والتقاليد تتغير وخاصة بعض المظاهر مثل اللباس والأكل.

وقد زاد هذا التقليد من تخلف المجتمع العربي عن ركب الحضارة الحديثة التي كان ينشدها، لأنه تمسك بالمظاهر وأغفل أسباب التقدم الحقيقي. ولقد عالج معظم مفكري القرن التاسع عشر في كتبهم ومقالاتهم هذه القضية، ومازالت إلى اليوم تطرح في مشاريع الإحياء الحضاري.

أسباب تخلف المسلمين: عالج مفكرو القرن التاسع عشر وضعية المسلمين المتخلفة عن غيرهم من الأمم وقد كانوا في الصدارة قبل قرون فما أسب تراجعهم وماهي الحلول للعودة إلى الصدارة واللحاق بالأمم المتقدمة؟ هذه التساؤلات وغيرها حاولوا الإجابة عنها.

الانحراف عن الدين: رأوا ان السبب الأول في تخلف المسلمين، هو ابتعادهم عن دينهم وتعاليمه، تندرج تحته كل الأسباب، ويقصد به الانحراف عن الفهم الصحيح للدين على أصوله والواقع في تصورات خاطئة، تحسب دينا وهي ليست بدين، لقد أقر الأفغاني بالعلل المتعددة للهبوط الواضح، وعنده أن العامل الرئيسي في ضعف المسلمين وتقهقرهم هو ماااعترى عقائد الدين من خلل وتشويه. (جدعان، د.ت، صفحة 154)، يقول الكواكبي:" إن جرثومة دائنا هو خروج ديننا عن كونه دين الفطرة والحكمة، دين النظام والنشاطات، دين القرآن الصريح البيان، إلى صبغة أن جعلناه دين الخيال والخبال، دين الخلل والتشويش دين البدع والتشديد"، فقد ألصق بالدين ما ليس منه. وأكبر انحراف هو الجمود والتقليد والامتناع عن الاجتهاد فاختل الدين الذي كان صالحا

لكل زمان ومكان. (النجار، 1999، صفحة 96) ومن الجزائريين الذين اهتموا بمعالجة المشكلة محمد بن رحال، والذي كان يرى أنهم بلاء على أنفسهم قبل بلاء الاستعمار.

الاستبداد: من أهم القضايا التي عالجها المصلحون قضية الاستبداد، حيث رأوا أنها من أهم أسباب تخلف المسلمين، وتطلعوا من وراء ذلك إلى الحرية، وقد اختلف رؤاهم للحاكم المستبد، وقد خص الكواكبي الموضوع بكتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"، فرأى أن الاستبداد هو السبب الرئيسي للتخلف، ودفعه يكون بالشورى الدستورية، ووصل في تحليله أن الاستبداد السياسي الذي جثم على صدر الأمة الإسلامية طويلا هو شل فكرها وعملها. (النجار، 1999، الصفحات 97-98) وقد سبق لخير الدين التونسي أن أشار لخطر الاستبداد على الشعوب فهو من الثغرات التي استطاع الاستعمار الدخول منها، وهو الذي ضمن لهم ضعفنا فاتاح لهم التهام استقلالنا، وقد تنبه خير التونسي لهذه الحقيقة الهامة خاصة في تونس حيث تدخلت الدول الاستعمارية وأعاقت التنظيمات السياسية والدستورية في تونس. ومما ساعد على ذلك هو الجمود على النصوص وعدم الاجتهاد بأحكام تعالج المصالح التي جدت. (عمارة، العرب والتحدي، 1980، صفحة 167)

الفرقة والتشتت: كما كان تركيزهم على قضية فرقة المسلمين وتشتتهم، فداء التشتت انتشر في جميع المستويات، ومن مظاهره التفرق بين العلم والسياسة فقد كان الخليفة عند السلف عالما، وتفرقت الأمة بانفصام عرى الالتئام بين العلماء والملوك، كما كان التفرق على مستوى الأفراد والجماعات ومستوى الدول، فكان له الأثر البالغ على وحدة الأمة، فتعطلت قواها، وقد قدم المشروع التحرري العلاج لهذه القضية. (النجار، 1999، صفحة 99). ومن القضايا الكبرى التي اهتم بها الإصلاحيون قضية تحرير الأمة، فالحرية هي مصدر الترقي وهي التي أوصلت أوروبا إلى وصلت إليه من تقدم وحضارة، والانسان الذي يعيش في الحرية والعدالة يكون نشطا والحرية لها تأثير في النفس والفكر والعمل (النجار، 1999، الصفحات 100-107)ومجالات الحرية متعددة فإذا كانت الحرية الشخصية ضرورية لكسبه وأمنه، فإن الحرية السياسية أكثر ضرورة لأنها تحقق إشراك الرعية في توجيه سياسة الدولة، ويدخل فيها حرية نشر الأفكار، قد ربط خير الدين التونسي والطهطاوي الحرية السياسية بالحرية الاقتصادية وهو سبب نمو الاقتصاد الليبيرالي في أوروبا، وعندما تكاملت الحرية في أوروبا من حرية سياسية واقتصادية وحرية المؤسسات وحرية التفكير والتعبير والبحث العلمي أسهمت في تنمية المعارف والبحث العلمي وتقدمت العلوم. (عمارة، العرب والتحدي، 1980، الصفحات 164-167).

Université Mohamed Boudiaf - M'sila

طريقة إصلاح المجتمع: إذا رجعنا إلى أدبيات مصلحي القرن التاسع عشر نجد أن كل واحد كلنت له نظرة إلى إصـــلاح ومن أين يبدأ. وإن اجمعوا على ضـــرورة الإصـــلاح إلا أنهم اختلفوا حول كيفيته، فرأى جمال الدين الأفغاني إن إصلاح المجتمع لا يكون إلا بإصلاح النظام السياسي وتبعه في هذا عبد الرحمن الكواكبي، أما الشـــيخ محمد عبده فرأى ان إصـــلاح المجتمع لا يكون إلا بإصـــلاح التعليم، فسعى إلى إصلاح التعليم العالي في الأزهر الشريف واغفل بقية أطوار التعليم. ولقد خاض معارك ضارية لأجل إصلاح الأزهر الذي كان يرى فيه أن المتعلم لا يأخذ إلا بعض المسائل الفقهية وطرفا من العقائد، على نهج يبعد عن حقيقته أكثر مما يقرب منها...وأبناؤه المعروفون بـــ"العلماء" أقرب للتأثر بالأوهام، والانقياد إلى الوســـواس من العامة، وذلك بما ينشـــأون عليه من تعليم رديء وتربية لا ترجع إلى أصـــل صـــحيح. وحاول إدخال بعض العلوم الحديثة إلى الأزهر مثل الرياضـــيات والتاريخ والجغرافيا. لكن شـيوخ الأزهر عارضـوه في ذلك. وكما حاول أيضـا إصـلاح التعليم المدني في المدارس الأميرية. (عمارة، العرب والتحدي، 1980، صفحة 183)

والمســـار نفســـه الذي ســـار عليه الشـــيخ محمد عبده ســـار عليه المصـــلحون في المشـــرق والمغرب العربيين، مثل محمد رشيد رضا الذي أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد بمصر. وكذلك محمد الطاهر بن عاشـور بتونس الذي قام بإصلاح التعليم الزيتوني، وكتب "أليس الصبح بقريب" والنهج نفسه سلكه عبد الحميد بن باديس في الجزائر.

كما كانت الدعوة ملحة إلى وحدة المسلمين والدعوة إلى المساوة والعدالة الاجتماعية، فطالبوا بالحريات الفردية مثل حرية التفكير والتعبير والحريات السياسية مثل الحياة النيابية. كما أنهم رأوا وجوب محاربة الاستبداد لأن فيه إفساد الدين وبه تنحط التربية يقول الكواكبي:"الاستبداد يضطر الناس إلى إباحة الكذب والتحايل والخداع والنفاق والتذلل وإماتة النفس إلى آخره" وهذه كلها أخلاق لا تليق بالمجتمع المسلم أو المجتمع الفاضل. كما أن الاستبداد فيه تحطيم الإدارة وتحطيم المجتمع.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

فدعوا إلى العدالة الاجتماعية، وتأثر بعضـهم مثل الطهطاوي بفكرة الاشـتراكية، وطرحت قضـايا رأس المال والفقير والغني وملكية الأراضـي وغيرها من المسـائل التي عالجها المجتمع الغربي على مقاسـه، وحاول المسـلمون علاجها. ومن القضـايا التي طرحت بشـدة في بداية القرن العشـرين قضـية تحرير المرأة وإعطائها حقوقها، وقضـية تعدد الزوجات، وظهرت أقلام كثيرة في هذا المجال، كما ظهرت مجلات خاصة بقضايا المرأة مثل "العائلة" لصاحبتها أستير زهيري، و"المرة" لصاحيتها أنيسة عطا الله " و"المرأة في الإسلا" و"فتاة الشرق" وغيرها من المجلات. وكان من نتائج هذه الحملة أن الحجاب بدأ ينحسـر بعد الحرب العالمية الأولى ، وأخذت المرأة العربية تشـارك الرجل في كثير من الأمال. وزاد الإقبال على تعليم البنات.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila